

سورة يونس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ
فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ
يونس (106)

معاني الكلمات :

{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ} وهذا وصف لكل مخلوق، أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما النافع الضار، هو الله تعالى.
{فَإِنْ فَعَلْتَ} بأن دعوت من دون الله، ما لا ينفعك ولا يضر
{فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ} أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها، وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره!!

المعنى الإجمالي :

نهي الله تعالى بصريح القول أن يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره وهو كل المعبودات ما سوى الله عز وجل فقال: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ}

أي لا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضرراً، ولا يضرك بمنع خير عنك، ولا بإتزال شريك فإن فعلت بأن دعوت غير الله فإنك إذاً من الظالمين.

(وَتَدْعُ) الدعاء هنا العبادة والضراعة وهذا معطوف على (وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)، (مِنْ دُونِ اللَّهِ)، أي غير الله تعالى وهي الأوثان التي جعلتموها أندادا لله مستحقة للعبادة، وقد وصفها سبحانه بحقيقتها الثابتة فقال: (مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ) أي أنها في ذاتها لا تنفعه ولا تضره، وجعل الخطاب بالنفع والضرر لمن يدعوها إشارة إلى أنهم تركوا ما ينفع ويضر إلى ما لا ينفع ولا يضر، وذكر هذه الحقيقة فيه تعليل للنهي عن عبادتها، لأنه إنما يعبد الجدير بالعبادة ويوفي الشكر لمن ينفع ويخشى عذابه، أما الأوثان فلا نفع فيها يرتجى ولا ضرر منها يُتقى. إن عبادة الأوثان واتخاذها أندادا لله تعالى والشرك به سبحانه، ظلم بين، ولذا قال تعالى: (فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ)

وفي ذلك تعريض لطيف وإيماء إلى أن مثل هذا الدين لا يشك فيه، وإنما ينبغي أن تشكوا فيما أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل ولا تضر ولا تنفع، إذ عبادة الخالق لا يستتكرها ذو والفطرة السليمة، أما عبادة الأصنام فيستتكرها كل ذى لب وعقل سليم.

والمدعو إما أن يطلب منه جلب خير، وإما أن يطلب منه دفع ضرر، وهذا إنما يختص بالله سبحانه وتعالى، فإنه هو الذي يقدر على دفع الضرر وجلب الخير، ودعاء الأموات وأصحاب القبور والأصنام والأوثان والأشجار والأحجار، لا يجلب خيراً ولا يدفع ضرراً. وكل ما يُدعى من دون الله فهو بهذه المثابة، لا ينفع ولا يضر، لأنها إما أحجار جامدة، وإما صور وتماثيل، وإما قبور

هامدة، وإما أشجار، أو غير ذلك، فهي مخلوقات لا تقدر على جلب نفع ولا دفع ضرر، فالدعاء إنما يصلح أن يوجه لمن يقدر على ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى.

فمسكين هذا الذي يطلب الحوائج من المخلوق وظن أن هذا المخلوق الذي لا يدفع عن نفسه شيئاً يملك من أمره شيء وهو لا يسمع ولو سمع ما استجاب، لكن الشيطان تسويله وتزيينه وتليسه على الناس، وما أخبر به النبي -عليه الصلاة والسلام- واقع لا محالة وأنه يوجد من يعبد الأوثان من هذه الأمة، ومن قرأ بعض الكتب عند المتأخرين من متأخري المذاهب وجد عندهم العجب، دعوة غير الله الشرك الأكبر الواضح الصريح ويرغمون أنهم يتصرفون في العالم، وأهم يقضون الحوائج وأهم ويصفونهم بأوصاف ويطلبون منهم أشياء لا يقدر على فعلها. فالشرك في عبادة الله عام كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله.

والشرك هو أن يجعل بينه وبين الله واسطة، يزعم أنه ينقل حوائجه إلى الله، كأن يقول لصاحب القبر: يا فلان، اشفع لي عند الله، يا رسول الله، اشفع لي، يسأله الشفاعة، جعل الرسول واسطة بينه وبين الله، هذا شرك؛ لأنه دعا غير الله.

ومن دعا غير الله فقد أشرك، تشمله النصوص التي فيها: **وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ**.

فمن جعل بينه وبين الله واسطة، سواء كان حياً أو ميتاً؛ فإنه يكون مشركاً، إنما الحي يُسأل في الشيء الذي يقدر عليه، تقول: يا فلان، أعني في إصلاح سيارتي، يا فلان، أقرضني مالا، يا فلان، أعني في إصلاح مزرعتي.

أما أن تسأل الحي في أن يغفر لك ذنبك، هذا ما لا يملكه، أو ينجيك من النار، أو تسأله في أن يرزقك، أو ينصرك على عدوك، أو لا يحرمك دخول الجنة، هذا ما لا يستطيعه، فهذا شرك.

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (65)



فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ

الآية 106

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

14- الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز لهم مولاته ولو كان أقرب قريب.

15- الشرك الأصغر ينقص الإيمان، وهو من وسائل الشرك الأكبر.

16- الشرك الخفي وهو شرك الرياء والعمل لأجل الدنيا يحبط العمل الذي قارنه، وهو أخوف من المسيح الدجال؛ لعظم خفائه، وخطره على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

17- إن من يدعو غير الله ليس له جزاء إلا النار إن مات على ذلك.

18- إن الدعاء عبادة، لقوله عليه الصلاة والسلام (الدعاء هو العبادة) كما عند الترمذي، ولقوله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60، عن عبادتي: يعني عن دعائي.

19- أن دعوة غير الله عز وجل لا تنفع، وأن ترك دعائه لا يضر، بمعنى أنك لو دعوت غير الله ما نفعك ولو تركت دعاء غير الله لم يضر.

20- الظالمون هم المشركون، إذا أطلق الظلم فهو الشرك، كما قال عز وجل: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان: 13، وهكذا الطواف بالقبور، إذا طاف يتقرب بذلك إلى صاحب القبر فهو مثل إذا دعا واستغاث به يكون شركاً أكبر، أما إذا طاف يحسب أن الطواف بالقبور قربة إلى الله قصده التقرب إلى الله، كما يطوف الناس بالكعبة ليتقرب إلى الله بذلك وليس يقصد الميت، فهذا من البدع ومن وسائل الشرك المحرمة والخطيرة، ولكن الغالب على من طاف بالقبور أنه يتقرب إلى أهلها بالطواف ويريد الثواب منهم والشفاعه منهم، وهذا شرك أكبر نسأل الله العافية كالدعاء.

والله اعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الفوائد :

1- تحريم الشرك ووجوب تركه وترك أهله..

2- دعاء غير الله مهما كان المدعو شرك محرم فلا يحل أبداً، وإن سمّوه توسلاً.

3- لا يؤمن عبد حتى يوقن أن ما أراده الله له من خير أو شر لا يستطيع أحد دفعه ولا تحويله بحال من الأحوال.

4- «الظالم» الذي يضع الشيء في غير موضعه.

5- الشرك وضع للعبادة في غير مستحقها، لذلك صار أعظم أنواع الظلم.

6- من جعل بينه وبين الله وسائط فقد أشرك؛ لأنه صرف العبادة لغير الله.

7- الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

8- الشرك يسبب الخوف وينزع الأمن في الدنيا والآخرة.

9- الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة، قال الله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } 2.

10- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: { وَلَوْ أَشْرَكُوا حَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 3، وقال تعالى:

{ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } 4.

11- الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار"

12- الشرك هو السبب الأعظم في نيل غضب الله وعقابه، والبعد عن رحمته نعوذ بالله من كل ما يغيضه.

13- الشرك يطفى نور الفطرة؛ لأن الله عز وجل فطر الناس على توحيد وطاعته.